



الثورة السورية: عِبرٌ وفَكَرٌ (22): قوىٌ عربيةٌ أم قوىٌ سوريةٌ؟ جيشكم خيرٌ لكم لو كنتم تصبرون

ناقشتُ أمس فكرة التدخل العسكري العربي، ولأنها فكرة محفوفة بالمخاطر فقد اقترحـت أن تحدّد قياداتُ الثورة شروطاً صارمة قبل الموافقة عليها. ولأن تلك الشروط لا يمكن بيانها إلا بكلام واضح صريح؛ فقد اضطـررت إلى تسمية المسمـيات بـاسمـائـها، بما في ذلك التصريح بـاسمـاء بلدـان وأحزـاب وطـوائف ماـ أتجـنبـه في العـادـة لـاعتـبارـات مـعـروـفةـ، إلاـ أنـ بعضـ المـعـلـقـينـ الـذـينـ يـعـلـقـونـ عـلـىـ كـتـابـاتـيـ فـيـ الـمـنـتـدـيـاتـ يـقـفـونـ مـلـيـاـ عـنـ كـلـ كـلـمـةـ أـوـ جـمـلةـ تـذـكـرـ طـائـفةـ مـنـ الطـوـافـ يـأـيـ قـدـرـ مـنـ التـحـفـظـ، فـضـلـاـ عـنـ العـدـائـيـ، حـتـىـ لـوـ كـانـتـ فـيـ مـعـرـضـ التـحـذـيرـ الـذـيـ أـرـدـتـهـ بـحـدـيـثـيـ عـنـ جـيـشـ الـعـرـاقـ الـذـيـ صـارـ خـلـيـطاـ مـنـ الـعـسـكـرـيـنـ الـمـحـترـفـيـنـ وـمـجـرـمـيـ الـعـصـابـاتـ الطـائـفـيـةـ.

أقول لهؤلاء: لا تُتعـبـواـ أـنـفـسـكـمـ بـتـعـقـبـ تـلـكـ الـجـمـلـ وـالـكـلـمـاتـ فـيـ كـتـابـاتـيـ وـتـفـسـيرـهـاـ بـالـطـائـفـيـةـ، فـقـدـ قـلـتـ رـأـيـيـ مـنـ قـبـلـ وـأـكـرـرـهـ الآـنـ: خـيـرـ لـيـ أـنـ أـعـيـشـ طـائـفـيـاـ مـنـ أـنـ أـمـوـتـ مـيـتـةـ بـشـعـةـ عـلـىـ أـيـدـيـ مـعـصـبـيـنـ مـجـانـيـنـ مـنـ طـائـفـةـ أـخـرـيـ؛ هـذـاـ مـاـ أـخـتـارـهـ لـنـفـسـيـ وـهـوـ مـاـ أـخـتـارـهـ قـطـعـاـ لـشـعـبـيـ الـمـصـابـرـ الـمـرـابـطـ عـلـىـ الشـوـكـ وـالـنـارـ، وـمـنـ كـانـ عـنـدـ رـأـيـ آـخـرـ فـلـيـجـرـبـهـ عـلـىـ نـفـسـهـ وـلـاـ يـجـعـلـ أـحـرـارـ الـشـعـبـ الـسـوـرـيـ الـأـبـيـ فـئـرـانـ تـجـارـبـ فـيـ مـخـبـرـاتـ الـلـاطـائـفـيـةـ الـمـزـعـومـةـ.

نعم، إن التـدخلـ العـسـكـرـيـ الـخـارـجيـ أمرـ مـحـفـوفـ بـالـمـخـاطـرـ، سـوـاءـ أـكـانـ عـرـبـيـاـ أـمـ غـيرـ عـرـبـيـ، مـسـلـمـاـ أـمـ غـيرـ مـسـلـمـ. فـأـمـاـ مـاـ كـانـ عـرـبـيـاـ مـسـلـمـاـ فـيمـكـنـ قـبـولـهـ بـشـروـطـ، وـأـمـاـ مـاـ كـانـ غـيرـ عـرـبـيـ وـلـاـ مـسـلـمـ فـلـاـ يـقـبـلـهـ سـوـرـيـ إـذـاـ كـانـ تـدـخـلـ عـسـكـرـيـاـ مـيـاـشـرـاـ عـلـىـ الـأـرـضـ، وـرـبـمـاـ يـقـبـلـهـ السـوـرـيـوـنـ إـذـاـ اـقـتـصـرـ عـلـىـ ضـرـبـاتـ جـوـيـةـ مـوـجـهـةـ ضـدـ أـهـدـافـ النـظـامـ الـإـسـتـرـاتـيـجـيـةـ الـتـيـ توـفـرـ لـهـ شـرـيـانـ الـحـيـاـةـ، وـلـيـسـ الـضـرـبـاتـ الـعـامـةـ الـتـيـ تـصـبـ مـنـشـآـتـ الـبـلـادـ وـمـؤـسـسـاتـ الـمـدـنـيـةـ وـالـعـسـكـرـيـةـ. هـذـاـ أـمـرـ لـاـ حـاجـةـ لـإـعـادـةـ بـحـثـهـ لـأـنـهـ نـوـقـشـ كـثـيرـاـ، سـوـاءـ فـيـمـاـ مـضـىـ مـنـ هـذـهـ الرـسـائـلـ أـوـ فـيـ غـيرـهـاـ مـنـ كـتـابـاتـ الـفـضـلـاءـ الـذـينـ كـانـوـاـ أـنـضـجـ مـنـيـ فـكـراـ وـأـفـضـلـ تـعـبـيرـاـ؛ كـالـأـسـتـاذـ نـبـيلـ شـبـيبـ فـيـ مـقـاـلـةـ مـرـكـزـةـ وـاـضـحـةـ عـنـوـانـهـ: "الـتـدـخـلـ الـأـجـنـبـيـ فـيـ سـوـرـيـةـ، مـسـارـ الـثـورـةـ بـيـنـ عـسـكـرـتـهـ وـسـلـمـيـتـهـ وـالـتـدـخـلـ الـأـجـنـبـيـ". أـرـجـوـ أـنـ تـبـحـثـوـنـ عـنـهـاـ وـتـقـرـئـوـهـاـ، وـأـرـجـوـ أـيـضـاـ أـنـ تـقـرـئـوـنـ الـمـقـاـلـةـ الـجـدـيـدـةـ الـقـيـمـةـ لـأـخـيـ الـفـاضـلـ الـدـكـتـورـ/ـ مـازـنـ هـاشـمـ؛ "قـرـاءـةـ فـيـ حـالـ الـثـورـةـ السـوـرـيـةـ وـاـسـتـشـرـافـهـاـ الـمـسـتـقـبـلـ"؛ وـتـوـدـوـنـ أـنـ غـيرـ ذاتـ الشـوـكـةـ تـكـونـ لـكـمـ، وـهـيـ تـنـاقـشـ فـكـرـةـ التـدـخـلـ الـأـجـنـبـيـ مـنـاقـشـةـ مـوـسـعـةـ، فـلـنـ أـسـتـطـعـ أـنـ أـكـتـبـ أـفـضـلـ مـاـ جـاءـ فـيـهـاـ.

لا يـسـتـوـيـ التـدـخـلـ الـأـجـنـبـيـ وـغـيرـ الـأـجـنـبـيـ، وـرـبـمـاـ قـبـلـ السـوـرـيـوـنـ –ـوـهـمـ يـعـيـشـونـ مـحـنـةـ تـزـدـادـ فـظـاعـتـهـاـ يـوـمـاـ بـعـدـ يـوـمـ–ـ رـبـمـاـ قـبـلـوـاـ بـالـنـوـعـ الـثـانـيـ، وـلـكـنـهـ لـاـ يـقـبـلـوـنـ الـأـوـلـ. وـلـيـسـ التـفـرـيقـ بـيـنـهـمـ عـسـيـرـاـ، فـالـعـرـبـيـ لـيـسـ أـجـنـبـيـاـ وـالـمـسـلـمـ لـيـسـ أـجـنـبـيـاـ، وـغـيرـ الـعـرـبـيـ

وغير المسلم أجنبي بلا خلاف. ونضيف ضابطاً آخر مهماً، وهو التمييز بين العدو والصديق، **ففي العرب من هو صديق وفيهم من هو عدو، أعني الأنظمة، أما الشعوب فليس فيها إلا الإخوة وذوو القرابات**، وبهذا التقسيم الأخير يخرج من قائمة المقبولين العراقُ والباقيون من أصدقاء وأولياء النظام الأيدي المجرم، أولئك لا نقبل أن يطأ أحدٌ من عساكرهم أرضَ سوريا ولو قاتلناهم قتال المحتلين.

التدخل العسكري العربي أمرٌ يقرره أهلنا في الداخل، لا يحق لي ولا لغيري من الآمنين في الخارج أن يُصدروا فيه الفتاوى ويقرروا القرارات، ولكنني أعلم أنه ليس الأفضل لهم لو كانوا يصبرون، فإن تحرير سوريا بجيش سوريا أفضل من تحريرها بجيش عربي، والسوريون أولى ببلدهم وبأهلهم من سواهم.

إذا كنتم مستعدين لتحمل فصل إضافي من المحن، فصل قد يطول، إذا كنتم قادرين على المزيد من الصبر والمزيد من التضحيات، إذا كنتم كذلك فإن دعم الجيش الحر والاعتماد عليه – بعد الله – في حرب التحرير هو الخيار الأفضل. هذا الخيار يحتاج إلى عمل وصبر حتى يصبح أمراً واقعاً، وهو يحتاج إلى جهد مخلص من خمسة أطراف:

(1) القيادة السياسية – ممثلة في المجلس الوطني –: عليها أن تهيئ المسرح لعمل حربي حقيقي ضد النظام ينفذه الجيش الحر، وذلك من خلال اتصالات بالقوى الدولية تهدف إلى:

(أ) الاعتراف الرسمي به كجهة مقاتلة شرعية حتى لا تلاحق قادته وعناصره قوانين مكافحة الإرهاب لا الآن ولا في المستقبل.
(ب) وإلى توفير منطقة صالحة لإيواء الجيش وقياداته ومركز عملياته ومسكرات تدريبه ومستودعات سلاحه، وهي منطقة يجب أن تكون آمنة الأرض آمنة السماء.

(ج) وأخيراً: توفير كل ما يحتاج إليه الجيش الحر في عملياته الحربية من سلاح خفيف أو متوسط أو ثقيل.

(2) جماعات الجيش الحر وجماعات المسلمين المتطوعين الكثيرة المتفرقة على الأرض السورية: عليها أن تجمع شتاها وتوحد قيادتها، فإن الحروب لا ينتصر فيها المشتتون المتفرقون. تستطيع تلك الجماعات أن تحارب في معارك مفردة وأن تتغلب على عدوها بأمر الله، أما الحرب الشاملة ضد النظام فلا يقدر عليها إلا جيشٌ موحد بقيادة واحدة. ولعلني أعود إلى هذا الموضوع بتفصيل أكثر في مقالة آتية – إن شاء الله –؛ لأنه واحد من أهم المواضيع المتعلقة بحرب التحرير.

(3) الجيش يحتاج إلى رجال، والرجال يأتون من مكاني: من المنشقين العسكريين، ومن المتطوعين المدنيين، وخيرُهم من كان حديثاً عهد بالخدمة العسكرية ويحمل معه خبرة قتالية وخبرة بالسلاح، ولا سيما السلاح الذي يحتاج الجيش الحر إليه في عملياته. إن الثورة مستعدة كبيراً للرجال، وهؤلاء لا يعيقهم عائق من الشجاعة أو الإقدام فإنهم قد علموا أهل الأرض معنى الشجاعة والإقدام، إنما يعيقهم استعداد الجيش لاستقبالهم وتوفير التدريب والسلاح، وهم جاهزون حينما تأتي ساعة النفير – إن شاء الله –.

(4) مهما يكن دعم الدول والقوى الخارجية: فإن الدعم الحقيقي يجب أن يكون من السوريين أنفسهم أولاً، ومن الأمة المسلمة ثانياً، حتى نصل إلى اكتفاء ذاتي في حدوده الدنيا، ولا تكون معركة التحرير مرهونة بإرادات ورغبات غيرنا ومحلاً للمساومات والتنازلات. إن الحروب مكلفة جداً، كل قطعة سلاح وكل طلقة لها ثمن، وما لم يدرك المسلمون أن الشعب السوري يخوض معركة بالنيابة عن الأمة كلها، وما لم يدرك السوريون المقربون القادرون والأتراك أن إخوانهم في الداخل يقاتلون في سبيل حاضرهم ومستقبل أولادهم، ما لم يدركوا ذلك ويتحملوا مسؤوليتهم ويفتحوا أكياسهم ويدعموا الثورة فقد ينقطع بالمجاهدين الطريقُ وتفشل ثورتهم – لا قدر الله –.

(5) الجيش يحتاج إلى بيئة حاضنة هي الجماعة المدنية التي يتحرك ضمنها ويعيش وسطها ويدافع عنها، وهي تتحمل عبء تنظيته وإيوائه، وقد تدفع أحياناً الثمنَ الباهظ بسبب ذلك فينتقم النظام المجرم منها ويعاقبها جزاء احتضانها للجند الأحرار. إذن فإن جمهور الثورة – من المدنيين العزل – يحمل العبء الأكبر في احتضان الجنود الأحرار، وهو ما يزال يحمل

العبء الأكبر الذي حمله منذ اليوم الأول، عبء الثورة السلمية التي صنعت هي وحدها - بصر جمهورها وتوفيق ربها - صنعت كل شيء.

يا أبطال ثورة سوريا العظيمة: استمروا في ثورتكم السلمية واصبروا عليها، واتركوا للجيش الحر - بمحترفيه ومتطوعيه - حمل السلاح ومحاربة قوات النظام المعتدية الظالمة، ولا تستهينوا بما تفعلون، فإنكم أنتم الذين صنعتم الجيش الحر؛ لولا صمودكم وتضحياتكم ما صار الجيش جيشاً ولا تمرد جندي على قيادته، وهذا الجيش ليس إلا مولود خرج من رحم الثورة السلمية، ومعه ستخوض الثورة المعركة الأخيرة الفاصلة، وتُسقط النظام بالضررية القاضية - إن شاء الله -، بعدما خاضت من قبله - وحدها وبلا سلاح - المعارك العديدة مع النظام وانتصرت فيها بحمد الله.

لا تستغربوا، إني أقرر حقائقَ ولا أتخيل خيالات، وفي المقالة الآتية التفصيل والدليل - بإذن الله -.

المصدر: موقع الزلزال السوري

المصادر: